

## أوباما والعقبة الروسية

في خطاب ألقاه مؤخراً في برلين، أكد الرئيس الأمريكي باراك أوباما التزامه بنزع السلاح النووي، واقترح خطوات جديدة لتحقيق ذلك الهدف . ولكن روسيا أوضحت أنها لا تخطط لمواصلة المزيد من التخفيضات لترسانتها النووية في . أي وقت قريب .

في هذا الخطاب الذي ألقى بعد ما يقرب من خمسين عاماً بعد خطاب الرئيس جون ف . كينيدي الذي تناول فيه المدينة المقسمة آنذاك، مؤكداً قيمة الحد من التسليح بين الخصوم أعلن أوباما أن الولايات المتحدة على استعداد لخفض ترسانتها النووية بمقدار الثلث . كما اقترح أوباما إجراء تخفيضات كبيرة في عدد الأسلحة النووية التكتيكية المنتشرة في أوروبا . وعلاوة على ذلك، وجه أوباما الدعوة إلى المجتمع الدولي لتجديد جهوده الرامية إلى منع إيران وكوريا الشمالية من إنتاج الأسلحة النووية؛ وإدخال معاهدة حظر التجارب النووية الشاملة، وأيضاً معاهدة وقف إنتاج المواد الانشطارية المقترحة حيز التنفيذ؛ وجعل الطاقة النووية أكثر أماناً

قبل ثلاث سنوات، بدأ الأمر وكأن روسيا تشارك أوباما طموحه إلى تجاوز المواقف النووية التي كانت سائدة خلال الحرب الباردة، حيث اتفق البلدان على خفض أسلحتهم المنشورة إلى 1550 صاروخاً كجزء من معاهدة خفض الأسلحة الاستراتيجية الجديدة (ستارت) . والواقع أن روسيا تعتبر معاهدة ستارت الجديدة معياراً ذهبياً يستند إلى مبادئ أساسية تخفيضات متوازنة ومتوازنة على مدى فترة زمنية طويلة، وتدابير كافية ولكنها غير مفرطة للتحقق، والاعتراف بالعلاقة بين الهجوم الاستراتيجي والدفاع ولا بد من تطبيقها على كل معاهدات الحد من الأسلحة في المستقبل .

بيد أن المسؤولين الروس أكدوا منذ ذلك الوقت موقفهم المتشدد، فصرحوا في مواقف مختلفة بما في ذلك مؤتمر الأمن الأوروبي الأخير في موسكو أن روسيا لن تنظر في المزيد من التخفيضات لترسانتها النووية قبل أن تعالج الولايات المتحدة بعض القضايا التي تؤثر في المصالح الروسية . والواقع أن الكثير من مطالب الكرملين قد تكون أبعد كثيراً . مما قد تتمكن إدارة أوباما من تحقيقه

ويتلخص أحد تخوفات روسيا الرئيسة في الجهود الأمريكية الرامية إلى بناء نظام الدفاع الصاروخي الباليستي . وبرغم جدال الخبراء في قدرة نظام الدفاع الصاروخي الباليستي الأمريكي، فإن قادة روسيا ما زالوا على اقتناعهم بأن هذا النظام قد يضعف من قدرة الردع النووي الروسي إلى حد خطر

ويشير مسؤولون روس إلى أن الولايات المتحدة تستخدم التهديد بهجوم كوري شمالي أو إيراني على الولايات المتحدة

بصواريخ باليستية مسلحة نووياً كذريعة لإقامة دفاعات ضد روسيا (وربما الصين) . وبرغم تأكيدات أوباما (وتأكيدات أسلافه)، فإن روسيا تؤكد أن المقصود من نظام الدفاع الصاروخي الباليستي الأمريكي يتلخص في واقع الأمر في توسيع دور منظمة حلف شمال الأطلسي في أوروبا، وتعقيد الجهود الدبلوماسية الروسية، وتسهيل التدخلات العسكرية الأمريكية .

بل إن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين حذر من أن الولايات المتحدة قد تستسلم في غياب الردع النووي الروسي لإغراء التدخل عسكرياً في المزيد من البلدان، كما فعلت في يوغوسلافيا السابقة والعراق وليبيا . وقد دفعت هذه التخوفات روسيا إلى المطالبة بإلزام الولايات المتحدة بالتوقيع على معاهدة ملزمة تحد من سرعة وقدرات دفاعاتها الصاروخية وتحدد مواقع انتشارها، على أن تتضمن شروطاً إلزامية خاصة بالشفافية حتى مع اعتراف المسؤولين الروس بأن مجلس الشيوخ الأمريكي لن يصدق أبداً على مثل هذه المعاهدة .

وثمة قضية أخرى تقيد عملية نزع السلاح النووي، وهي تتلخص في وجهة نظر روسية مفادها أن قدرات روسيا العسكرية لن تضاهي في غياب الأسلحة النووية القوات التقليدية الأمريكية وقوات حلف شمال الأطلسي . والواقع أن كثيرين في روسيا يشعرون بالقلق من أن أي هجوم أمريكي ضد قدرات الردع النووي الروسية وغير ذلك من أصول روسيا الدفاعية، باستخدام المخزون الأمريكي المتنامي من الأسلحة التقليدية الطويلة المدى الموجهة بدقة، قد لا يقل تدميراً عن الضربة النووية .

وتتفاقم هذه المخاوف بسبب نوايا أوباما المعلنة في ما يتعلق بالعمل جنباً إلى جنب مع منظمة حلف شمال الأطلسي في السعي إلى خفض الترسانة الروسية من الأسلحة النووية التكتيكية بنحو خمسة آلاف سلاح وهو الرقم الذي تتضاءل في مواجهته حيازة حلف شمال الأطلسي من هذه الأسلحة والذي يبلغ 200 تقريباً وحمل روسيا على نقل الرؤوس الحربية المتبقية بعيداً من أراضي الدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي . ويرى العديد من الروس أن هيمنة دولتهم في هذه المنطقة تشكل ضرورة أساسية لإصلاح الخلل في توازن الأسلحة التقليدية .

والواقع أنه لا توجد أي معاهدة رسمية للحد من التسلح تغطي بشكل مباشر هذه الأسلحة غير الاستراتيجية؛ ولم تكن هذه الأسلحة ضمن المفاوضات المستهدفة بين حلف شمال الأطلسي وروسيا . وما دامت الأسلحة النووية التكتيكية الأمريكية منتشرة بالقرب من حدود روسيا فإن المسؤولين الروس يصرون على أنهم لن يطلقوا مثل هذه المحادثات .

وحتى إذا تمكنت الولايات المتحدة من حمل روسيا على الجلوس على طاولة التفاوض، فإن إقناعها بقبول تخفيضات كبيرة في ترسانتها من الأسلحة النووية التكتيكية قد يتطلب تلبية الولايات المتحدة لمطالب إضافية، مثل الحد من التركيزات والمرافق العسكرية التابعة لحلف شمال الأطلسي والواقعة بالقرب من محيط روسيا وإحياء المعاهدة الخاصة بالقوات المسلحة التقليدية في أوروبا بشروط الكرمين . وعلاوة على ذلك، يطالب قادة روسيا بأن تقبل الدول الأخرى المسلحة نووياً حدوداً مماثلة على المخزون لديها من الأسلحة النووية التكتيكية .

والواقع أن روسيا تريد الاستعاضة عن عملية الحد من الأسلحة النووية ذات الطبيعة الثنائية على مدى الأعوام الخمسين الماضية بمفاوضات متعددة الأطراف تهدف إلى تقييد القدرات الهجومية التي تمتلكها الدول النووية الأخرى، بما في ذلك المملكة المتحدة وفرنسا والصين وربما دول أخرى . ولكن إقناع هذه الدول بالمشاركة في مفاوضات الحد من الأسلحة، فضلاً عن حملها على قبول قيود جديدة على ترساناتها النووية الصغيرة نسبياً، سوف يكون صعباً للغاية . ومثلها كمثل إدارة أوباما فإن هذه الدول تعتقد أن الجولة التالية من التخفيضات لابد أن تركز على روسيا والولايات

. المتحدة، الدولتين اللتين تمتلكان كل الأسلحة النووية في العالم تقريباً

ويتلخص التحدي الأساسي الآن في أن قادة روسيا لا يشاركون أوباما نفوره من الأسلحة النووية . بل إنهم على العكس من ذلك يعتقدون أنه على الرغم من تراجع احتمالات نشوب حرب نووية بشكل حاد منذ نهاية الحرب الباردة، فإن الردع النووي أصبح أكثر أهمية بالنسبة إلى روسيا وغيرها من البلدان التي تتفوق عليها القوة العسكرية التقليدية الأمريكية . وقد يشكل هذا التصور عقبة يتعذر اجتيازها من أجل تحقيق رؤية إدارة أوباما في عالم خال من الأسلحة النووية .

كبير زملاء ومدير مركز التحليل العسكري السياسي في معهد هدسون، والمقال ينشر بترتيب مع بروجيكت سنديكيت

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024.